

## انطباعات عن « العراء » المليء ...

لعلها عادة غير أكاديمية ، ولا اصولية من حيث النقد الادبسي والفني ، لكنها تسيطر علي ، باستمرار ، لا سيما حين اكون امام اعمال جميلة ، باهرة الجمال وملتبسة ، في وقت معا . فبعد ان انتهى من التعامل مع أي إنتاج فني أعود الي وجداني ، وكياني الداخلي ساعيا بكل تدقيق لاستبطان حقيقة تأثرتي وانطباعاتي ، التي تتلوها ، احيانا ، وتؤسس عليها احكاما ربما اصاب ، وربما اخطأت ، لكنني أطمئن اليها عادة ، فهي حلقة من حلقات حركة تلك المعرفة النوعية الشديدة التعقيد : الإدراك الحسي للآثر الفني .

واسارع للانتظام ، و « الدخول في موضوعي » فأتساءل : أي شيء أحسسته بعد قراءتي مجموعة « العراء » (1) القصصية للدكتور سهيل ادريس ، التي صدرت منذ حين قريب ؟ وبعد استسلام - واع - لاندياحات المشاعر وتأثيرات الصور والاحداث والوجوه والشخصيات ، والقضية في جملتها المتساوية المقاتلة ، وتفصيلها الدموية والباسمة في الوقت ذاته ، اتضح لي انني خرجت متغيرا بعض الشيء ، أو كثيرا ، اثر قراءتي هذه المجموعة المكثفة ، الصارمة « العراء » والشديدة الفنى في نفس الحين ، الملتزمة ، والمفتوحة على حرية الفرد الانسان ، تلك الحرية التي يراها الفكر والكاتب والفنان سهيل ادريس بعين المسؤولية ، وذلك لا يعده كثيرا عن الرؤية الثورية لمسألة الحرية : الحرية هي فهم الضرورة .

لكن المسألة مسألة مجموعة قصصية وليست بحثا فلسفيا أو ما يشابه . وقبل ان أتخلى عن هذه الاستطرادات التي أجس بها أوتار ذاتي الادبية ، ولا فخر ، أقول ان قولاً لاحد مفكري الوجودية قد خطر لي ولكن معدلا حسب « الضرورة » :

الفيلسوف - الانسان وتر مشدود بين لانهايتين : العدم المطلق والوجود المطلق .

الناقد - مجموعة « العراء » لسهيل ادريس عمل فني مشدود بين القضية المطلقة ، الفنية ابصاذا ووقائع وقيما ومسؤوليات ، و « العراء » المطلق ، ولكن الظاهري . ولاننسي ، والحمد لله ، لست فيلسوفا ، فقد جاءت صيغتي أطول وأكثر تفاصيل من صيغة كيركيغارد تلك ..

وأوجز : ان من يقرأ مجموعة « العراء » القصصية يخرج منها

( ١ ) منشورات « دار الآداب » بيروت - ١٠٤ صفحات - كانون الثاني ١٩٧٤ .

وقد تفسر داخله نحو الاعمق والاوسع والاحزم والاذكى وخصوصا : نحو الاجمل . بذلك يحس قارئ العراء ، بل يدرك ادراك الوجدان الوائي والحازم والصادق والمستقبلي ، الفاضل دون تشنج ، والمتفائل دون سذاجة وروية مزيفة ، والمقاتل بتواضع المقاتلين الحقيقيين .

هذا من حيث الانطباع النهائي الوجداني والحسي الفنسي والادراكي العام .

مجموعة جديدة ، انسان جديد ، مأساة متشعبة الابعاد الجريح في كل جرح من جراح ابطالها البسطاء ، وأغلبهم فتيان من عامية الشعب . فهذا الرجل الذي تجاوز الخامسة والاربعين ، كما أظن ، قد زرع في مجموعته هذه الجديدة ، حضورا حيا ، مشيرا لما لا يمكن التعبير عنه من مشاعر البهجة والاسى النبيل : سببنا شعبنا وصبايراه ، مناضلين ومقاتلين وفدائيين وعشاقا وراقصين ... ومن اول قصة في المجموعة الى اخر قصة ، نحس بهم ، حملة الراية الجدد هؤلاء ، الذين يملأون الساحة العربية اليوم قتالا ورفضاً ، بحثا عن ذات فردية وجماعية ، ومواقف بطولية ومشاعر بما يشبه الخزي لدى فئة واسعة من مثقفي شعبنا العربي ، ومثقفي « العراء » . وان التماثل قائم ، تقريبا ، عند كل منحني من المنحنيات الفنية والشاهدة عبر فن « العراء » على ما هو اعظم بل قل على ما هو هدف الفن الكبير : تغيير الانسان وتحقيق واقعه حضاري له ، ان سهيل ادريس يقول في مجموعته : نريد واقعا حضاريا ، لا احلام حضارة .

ولكن لنبدأ القصة - ( القصص ) من اولها - فالتحليل اولا ، ثم التركيب ، وذلك على الاقل لانني اكتب عن واحد من اركان ادبنا العربي الحديث وفكرنا الحديث الملتزم المؤرق والمضيء في السوقت ذاته ، له حضوره الابداعي والاكاديمي المشهود .

تضم مجموعة « العراء » سبع قصص ، وسبعة وجوه لسبع فضايا هي ، في آخر تحليل ، وجه واحد لقضية واحدة ، يعمل فيها السكين شقا وتقطيعا فعله في برتقالة فلسطينية ، ليرى داخلها بذورا ومياها وحموضة أيام .

القضية في مجموعة « العراء » هي قضية الانسان العربي اليوم ، معاصرنا المقاتل الذي خانوه فما خان نفسه ، قضية أبناء هذا الشعب الذي ما انفك يأكل بذور الخزي ولا يخزي .

في قصة « الاسلاد » حكاية قتال ونزوح وحب عميق وملتبس . وفي « زمن الهزيمة والنصر » عار القمة وامل القاعدة المتألق . و « العراء » عبر احداثها المدهشة التوتر والصدق والبساطة ،

والغربة الباروكية السورالية والواقعية معا من حيث طريقة الوصف وتداعي الافكار ، هي في اخر تحليل ، مشكلة المتف العربي مع قضيته وضميره وقلقه على مكانه في المعركة .

أما قصة « شيخ الكرامة » فهي شهادة على استمرارية النضال والقتال ، مع أبعاد أوسع ، يمكن عن طريقها ان نلمس رأي كساتب فنان ، صارم مع فكره ، صارم مع فنه ، لذلك فهو يصل الى ما يريد ، وبايحاء موجز ، قصير اللغات واللمحات والقسمات ، كالشعر ، لو ان الشعر - اكثره - يستطيع ان يحمل شحنات لا حد لها من العقل والوعي والاحساس عبر ناس من صميم واقع حاضرننا ، تراهم انت وارايم انا ، وربما كانوا انت وانا وهم ، أي عامة أبناء شعبنا في لحظة هذه المساوية التحويلية الثورية القائمة . لكنك لا تستطيع فهمهم جيدا ، والدخول الى أعماق مشاكلهم الجزئية - الكلية التي تندرج كفضون متفرعة عن جذع ضخم في نظام بناء الشجرة ، الا اذا قرأت هذه المجموعة القصصية التي تضرب جذور عمقها في سداوة بساطتها وشاعريتها في احيان . ولكن يا للحسرة ... فالدماء حين تضيء تكون قهرا وعذابا وشهادة ، تسمى من الخارج : بطولية . وفي جميع قصص سهيل ، في « العراء » دماء ، بعضها يسيل سخيا ليستعيد موعدا مع الكرامة ، والبعض الآخر يغلي غضبا أو خجلا أو حيرة امام مسائل بسيطة : ما العائلة ، ما الحب ، ما الاولاد ، من نحن ، كآباء ، ومن هم كآباء ، رصانة تواجه تخابثا ، ولكن عبر ذلك كله نستشف حركة الحياة العميقة تلك التي أوصى غوركي كتاب الواقع والفن الاكتشافي بأن يتمسوها في أعمالهم . اقترح ولم يوص ، والمسألة ليست هنا ، على كل حال .

أما « العبور » فهي قصة ادانة والتباس مصير المناضلين ، وتكلمة من الاماني المتفائلة شموخا وغضبا وحكمة وربما استشهادا .

وقد يبدو ان الدكتور سهيل ادريس يقيم توازنا شعوريا حياتيا وجماليا حين ينشر في خاتمة المجموعة قضيتين تبدوان ظاهريا بعيدتين عن العرق العريض الذي يجتاز سائر قصص المجموعة : هناك وجوه حية ، دامية حتى الاعماق من وجوه معاركنا ومآسينا . وهنا فسي قصتي « القراءة في العيون المغمضة » و « نكهة خاصة » نجاروب رحلات خارج البلد والبيت ، وفيهما حكايات لقاء وانغام صبابة واشتهاء ورقص ، وفتيات احداهن باتريشيا الايطالية ، مثلا ، ذات « بنطال أسود ترتديه تحت كززة صوفية تشد نهدين ينفض فيهمما التحدي ... » الخ . واذا علمنا بان هذه القصص السبع هي كل ما كتبه سهيل ادريس منذ عام ١٩٦٦ أدركنا أهمية ما يتمتع به من حس فني ملهم ، حين توازن ابداعه - النقد الحديث يفضل ان نقول « انتاجه » - بين توتر قضايا المصير اليومي والتاريخي وانفراج القلب والروح في ساعة الحب والصفاء .

لكن هذه الموضوع غير دقيقة ، اذا قرانا قصص « العراء » باناء وانما بصيرة . اذ ان كل قصة من قصص هذه المجموعة تحتوي في بناء عضوي ، تلقائي شعوري وواع معقلن جماعيا ، في السوفت ذاته : مواجهة الاعداء ، الدخول في لعبة أخذ الموت واعطائه ، ورسم تلك اللحظات التحويلية التي كتبت علينا اليوم ، كما كتبت على الذين من قبلنا ، لحظات تحول سلاح النقد الى النقد بالسلاح . ومن هذه الناحية تتضح لنا الخلفية الوجدانية والمساوية لبعض ابطال المجموعة من المثقفين الذين يهزقهم بدمهم عن المعركة الكبرى ، وفي كل قصة وجه آخر ، تندمج أحداثه ومشاعره ومواقفه اندماجا عضويا فسي نسيج قصص « العراء » ، هذا الوجه المكون من التفاصيل - المكثفة عند المؤلف - لمسائل الحياة اليومية العادية والمهمة معا : مسائل البيت ، البيت العربي ، والعائلة ، والحب ، ولقاء الآخر ، والنزق ، والحيرة الرمادية . ومن امجاد سهيل ادريس ان اليأس ليس خبزا يوميا لابطاله ، بل لعنا لا نجد بينهم من يعتبر الهرب الى العدم بطولة

في مكانها وزمانها . ولاكمال دائرة هذا الحكم ينبغي الإشارة الى ان المؤلف في قصصه هذه بعيد تماما عن أية نزعة خطابية ، لكنه ، وهو ابن عصرنا البكر ، وواحد من الشاهدين على بهجتنا ومآسينا ، اكتشف البطولة حين قدس النضال وعرف العذاب .

قارئ مجموعة « العراء » يظل طويلا بعد قراءتها يتساءل : من أين ينبع كل جمال هذه الاحاسيس وقوة هذه الحكمة ، وما سر هذه القصص البسيطة في اكثرها ، وما هي هذه البهجة النصف - نغمية ، شبه الخبيثة ، التي تأخذ باجتياحك شيئا فشيئا عبر قصص النزوح والغداء والخيانة والحب وبطولة الجذور ونبل الانبياء ( البنات : « رنا » في القصة الاخيرة « نكهة خاصة » ) واللامح التي لا تنسى يقدمها لنا الكاتب عن فتيات أوروبا ( وهو ، على كل حال ، « عتيق في الكار » ، هنا ، « الحي اللاتيني » الخ .. الخ ) ؟

أرجو ان لا أقدم حكما تقريبا ، ولا نظرات عامة الى الحركات الداخلية لجماالية هذه القصص ، بالمعنى الواسع ، الواقعي الشوري المتلزم للجماالية ، اذا قلت ان كاتب هذه القصص قد استطاع ان يخرج من اعترافات الخاص ونوعياته التفاضلية المجهرية ، السى شمولية العام ، من الشخص الى الانسان ، من المقاتلين الافراد الى التاريخ المتحرك الذي يبني كرامته وحضارة أبنائه من قتام الجانبيين السالبيين ، وكلها يحس بها سهيل ادريس ، ويعيشها ويكتشفها في قصصه هذه .

لكن مجموعة « العراء » هي اكثر من التزام بقضية ، وتقديم صور متعددة عن مختلف وجوه هذه القضية . أكثر : أي ان الكاتب لعمق معاناته لقضيتنا قد وصل الى الاغوار الجذورية لغضبا سائر الشعوب ، وسواء أكان يقصد ذلك أم لا ، فان هذا الواقع يظهر في العديد من قصص « العراء » . فلنقرأ هذه العبارة الواردة في قصة « العبور » ( ص ٦١ من المجموعة ) :

« وسمع الطائرات تعود وهي تطلق نيرانها على غير هدى ، فسي كل اتجاه . وظل يحدث في المسائل المطلقة بالسماء » . ومثلها ، في قصة « شيخ الكرامة » :

« المناضلون يطلقون نيرانهم على الطائرة ويعطونها : غير ان عدة جنود اسرئيليين خرجوا منها مدججين بأسلحتهم فراحوا يقدفون البيوت بقنابل يدوية ويعصون نارهم على كل شيء يحسبونونه يتحرك ، ولو كان ورقة على شجرة » .

ورغم وجود « الاسرائيليين » في ثائية العبارة هاتين ، فيمكن ان يتساءل القاريء : الا يصف الكاتب هنا قتال شعب الجزائر ضد اعدائه ، وكفاح شعب فيتنام ضد الغزاة المتدخلين ، هذا العدو الاهوج ، الذي يقدم لنا سهيل ادريس بلهجتين سريعتين صورة دقيقة وموحية عن « شخصيته الداخلية والخارجية » في اية معركة خاضها شعب ضد غاصب ، ولم يكن القاتل كما وصفه سهيل والمناضل ضد القتل ومن اجل الحياة والحب والحضارة ، كما قالته قصصه ؟

ثم ان المؤلف ، في مجمل النسخ العضوية لآبئية قصصه ، يعتمد « مبدأ الضرورة » في الكتابة ، فالبناء القصصي هنا ، في كل قصة ، بصرف النظر عن توترها او انفراجها ، وعبر المواقف المحسوسة واللوان العواطف وتنام لحظات الخزي والموت و بهجة الحب والامل والاستمرار ، تكاد لا تشعر بها اية فضول او لمسات تجميل لا ضرورة لها . ويكفي ان يتأمل المرء في لغة القصص ، انها الشكل الصارم البناء والانتقاء والموحي الى حد بعيد ، والمتجلي عن مضامين صارمة من حيث انها تتبع جميعا تقريبا من قضية واحدة ، لكن هذه القصص ، التي عرف كاتبها كيف يختار زاوية الرؤية ، ومن اين يلتقط الصورة ماذا يعطي وماذا يمنع ، كيف يقول وكيف يصمت ، اكثر من ذلك:هناكتمائل، وتعادل ، وتوازن ، ومطابقة شبه كاملة بين ابعاد مضمون اية

قصة من قصص « العراء » ومعادلهما الفني والجمالي والصوري والجمالي واللفظي .

هذا « الاقتصاد في الكتابة » هو الذي زاد اقتناعنا بمعاناة أبطال المجموعة مختلف اللحظات السوداء والمضيئة لمركبتهم وسائر ابعاد قضيتهم . فالحزين لا يثرثر . والمتحضر لقتل الموت لا يسهب . ان الفدائي شخص ، وحقاويقي المفاهيمي المعتريه شخص اخر .

في البدء كانت العواصف فاندرجت في عاصفة واحدة كبرى فتوهجت في بفضة بروق وروعود ، ثم شعشت بالموت والحرب سبع ازهار على غصن « العراء » . تلك هي ، بايجاز شديد العملية التي وفق الى انجازها صاحب هذه المجموعة .

\*\*\*

صحيح انه يمكننا الاكتفاء بما تقدم ، ونكون قد اعطينا الملامح النقدية التحليلية - التركيبية لهذه القصص . لكن قصص المجموعة تستحق نظرة متأنية من حيث تقنياتها . فالحكي عن التكنيك الفني في هذه الأيام شائع . ولا سيما ممن لم يسمعو بشيء عنه . وهيه لم يشع ، فهو ملج الفن بل حامل معادله الأساسية الى جانب الوقوف الانساني الثوري من الحياة والوجود ، وهذا واضح في قصص «العراء» ، والقدرة على التشميل ، اي التحرك من الخاص الى العام - وهو عند سهيل ادريس تلقائي انسيابي مصاغ ومستصعب مشغول بشكل مدتهش - في وقت مما .

ولعله يمكن ، بالاضافة الى ما سبق قوله ، ايجاز الملامح البنائية والطرائق الفنية التي تحفل بها هذه المجموعة كما يلي :

- في اطار تكثيف رائع للحادثة وسيرورة الزمن ولامح الناس والاشياء ( روب - غرييه حيث البطل عنده متعين وعام ، عصب وحركة هنا تلاق لو كان استاذ « الرواية الجديدة » صاحب قضية ) ، في قصص « العراء » نجد القاص يتحرك في رسم انسان وزمان ومكان قصته ( وخاصة في صدد ملامح الانسان في حركتها اليومية والذهرية معا ) يتحرك القاص من عبارة الى ثانية ، بحركة اشارات حاسمة ، حازمة ، ودقيقة بل ناعمة الدقة ، وفروقية nuancée بالمعنى الدقيق للكلمة . يكفي ان نقرأ الصفحة الاولى من المجموعة ( قصة « الليل والاسلاك » ) .

- وفي هذا السياق ذاته نجد اكثر ابطاله ، يبرزون في سياق القصة هكذا ببساطة وهدهد كما تنفتح زهرة او يسقط رأس شهيد على كتفه ، هكذا يقدم القاص لنا اكثر اشخاص قصصه مع انهم صناع موت ، ورجال فداء وقاتل ، وفتيات متحررات ياخذن موج المصير مأخذ حزن وخيبة وبهجة مشوبة دائما بالاسنلاب الذي يكشفه لنا سهيل ادريس لدى نساتنا وفتياننا وابناء امننا بعامة ، لكنه ، وقد سبقت الإشارة الى هذه النقطة ، استطاع ان يقدم لنا صورة مضيئة بتواضع وقوة معا ، لانه استطاع بوسائل عدة ان يرى القافية عبر الاشجار .

- وقد استلزمت هذه التقنية من الكاتب ان تكون ، في كثير من الاحيان ، بسيطة ببساطة مندرجة في السياق تماما ، والبساطة الفنية لا صلة لها ، بالتسطح او السطحية عامة . فباطال « العراء » هم من عامة الناس ، تتفقد داخلهم وخارجهم وقائع مأسيتهم - التي هي مأسيتنا أيضا - حيث يعطينا الكاتب ان نرى ، كما تقول ايلساتريوليه ، لدى الترجمة السريعة ، او حيث « يجلو لنا اسرار الاشياء » ، اذا كنت تفضل زهاب الناقد ايضا الى جذر المسألة .

- وحول مبدأ التحول من الكم الى الكيف في افق الفن القصصي ومع المحافظة على حرارة قضايا الناس والمصائر والمواقف التي يقدمها

لنا سهيل ادريس - نجد ان صورا نموذجية تتكون عبر كل قصة ، وغالبا عند منطف مهم ، مصيري ، من منطفاتها . هنا يبلغ التكنيف الفني في نسج القصة ذروات مرموقة :

عن مشهد للاسرى العرب خلال حرب حزيران ( ظل يتأمل سجناتهم ، وايديهم وراء رؤوسهم ، والذعر في عيونهم التي تتطلع الى فوهات البنادق والرشاشات تحملها ايدي نساء . )  
ثم :

« ونملل في ضيق ( الخ ) ، مرة اخرى يلتبس المعاذير والمبررات لهم ، لنفسه ، بل حتى للقدر الذي ارسل الصاعقة .. » انه « الذل والهوان بين ايدي هاتيك اللواتي كانت امثالهن في بعض تاريخ قومه يوصفني بالقوارير . ايها القوارير الفائرة التملظة التي لا هم لها الا ان تتلقى ما يقذفه الذكور في احسانها العطشى » .

وعن المظهر السكوني لنا نحن كعرب ، مع ان الموقف موقوف صراعي ماساوي ( في قصة « العبور » ) نقرأ ما يلي :

« وقال يطمئنها انهم سيكونون الان اكثر صمودا .

فاكتفت بالقول بان اولئك سيكونون اكثر شراسة . وفكر بالذين يدعمون المنظمة من الخارج . وهم بان يقول انهم سيتدخلون ، ولكنه تمثلهم محتهمين حول الموائد وفي الفنادق يتكلمون ويتكلمون ، فآثر الصمت » « نعم . سيتدخلون ، ولكن بعد وقوع المجزرة ، وسيبرسلون الرسائل والبعثات ، وسيطلقون التصريحات والاتهامات ، بل سليجأون حتى الى التخوين ثم ماذا ؟ الخ .

لا اظن هذه الصورة بحاجة الى الدلالة على ما فيها من نوعية رفيعة النموذجية شبه الشمولية كتعبير ووصف امارسية سوسيولوجية كادت تصبغ من تقاليد الكثيرين جدا من ابناء شعبنا . واقسراً معي :

« ثم رأى عن بعد اعلاما بيضاء مرفوعة على فوهات البنادق . هذا سطر واحد يوجز بصراحة ( ولسطوح ) وجها عميقا من وجوه عارنا ( وهو مكثف كله مع اضاءته - بتقيضه الصهودي ، وذلك في قصة « العبور » هذه ذاتها ، حين اختار العديد من الفدائيين الاسر الاسرائيلي على الموت بنيران « الاخوة الاعداء » كما يسميهم الكاتب .

« ان بي حاجة الى الابتعاد عن اجواء العمل كلها ، الى شيء من النسيان ، الى غيبة او غيبوبة عن جهاز التلفون . هذا الذي يستطيع بللمحة بصر ان يوفر لي الحضور الثقيل » .

انه يريد « ان يضرب في شوارع هذه المدينة على غير هدى ، ان يتيه ، بل ان يضل اذا استطاع ، ان ينسأهم جميعا ، الزوجة ، والاولاد ، والكتب ، والعمل ، والمنزل ، ان يفتش عن اجواء جديدة ، فيها نكهة الاغتراب ، عن درب جديدة لم تعرفها قدماء ..

وهنا ايضا لا حاجة للإشارة الى موضع الجرح في خصر لعازر ، الشغيل الفكري الحامل تبعات زوجة ، اية زوجة ، واولاد ، ايا كانوا .

لقد قدم لنا الكاتب صورة نموذجية انسانية تكاد نجدها في كل بيت ، السعيد منها والشقي . والصدق هنا ، وتوخي وجه الحقيقة ولو كانت جارحة ، يفرض نفسه على كاتب يمكن اعتباره في قصصه

( الخ ) الحديث هنا عن احد ابطال قصة « العراء » .

« العراء » في اوج نضجه ، ولانه ملتزم ، فهو في هذه الاعمال في مستوى عال جدا من صدقه الذي يشكل اساسا من اساس روعة وفوة هذه القصص .

– ومع ان سهيل ادريس لا يفرق في هذه القصص ولا يسترسل في اجواء الحوار الداخلي او الالعب النارية التقنية المدهشة عن قصد ، ولا حتى في التحليل النفسي السردى والاستبطاني ، فان كل المواقف والملاحم والملاحم المجهضة والبهجات والعواطف ، وبكلمة : مسألة الوجود الشمولي المتعدد الابعاد والمستويات والمواقف لناس معينين في زمن معين ، والكاتب الذي يستطيع تحقيق ذلك ، يمكن اعفاؤه من الاعيابه التقنية القصصية الحازونية واعتباره من الموفقين في فنهم .

– كما نجد عبر اقصيص المجموعة وفي ابيتها وحركاتها الوحيدة دقة ملاحظة للاشياء ، ورباطة جاش واقتصادا وصرامة لدى تصوير اللحظات المساوية ، العائلية منها او القويصة او الانسانية ، بعامة .

– ثم ان اشخاص سهيل ادريس في « العراء » هم اشخاص حقيقيون ، لا يختلفون كثيرا عن الناس الذين نراهم كل يوم في كل مكان . وهذه الرؤية لشخص القصة دفعت احد النقاد يوما للقول ( في صدد رواية المؤلف ( اصابعنا التي تحترق ) بان صاحب الرؤية لا يمدو كونه طبيعي النزعة ، فوتوغرافي الاسلوب ) .

والحق ان الناقد المذكور كان بحاجة الى الانتباه لحقيقة بسيطة يجنب معها هذا الحكم غير الدقيق . ان عادية اشخاص سهيل ادريس وطابعهم اليومي وعفويتهم ترفع من فنية قصصه ، وذلك لسبب بسيط . وهو انه كاتب شمولي ، قومي ، انساني ، مقاتل . وحجارة البناء الضرورية لمثل هذا الكاتب هي : الاشياء والاشخاص في صفاتها العادية ، ذلك لان الحركة التاريخية ، والاضاع الثورية ، والصرامة في تصوير تناقضات الناس والاشياء ، هي التي تجعل من العادي « الفوتوغرافي » في قصص المؤلف ، رموزا تسجيلية ، وايحائية ، كثيفة الشخات ، موجبة الاثر ، ان لم يكن حديث الفاص بتناول لحظات البهجة والفرح بالوجود .

ولعل كون الكاتب قد عاش من الداخل حياة الواقع العربي والانساني ، في مسيرتها الثورية ، الجميلة والكثيية في آن معا ، هو الذي اعطاه هذه القدرة على تكثيف المواقف ، وقول حقائق الحياة عبر اشخاص احياء ، ومسائل حارة ، ومصائر من موت وحب وطفولة .

اما لغة الكاتب ، في « العراء » فهي شاقول البناء ، وزئبق الميزان ، وابجدية الابداع . لغة عصبية ، متوترة ، دقيقة ، على رصانة في كل حين ، حتى في لحظات السخرية والمرح ، علما بان الهوى الغالب على قصص العراء هو صورة ، بمستوى الفن القصصي ووسائله ، لكاتبنا منذ حزيران ٦٧ وربما منذ اعوام طوال قبل ذلك .

ومن جهة اخرى فقد استطاع سهيل ادريس في هذه القصص صياغة لغة للبقاء « الاستهلاك اليومي » اذا صح التعبير . وهذه ميزة لا نجدها عند كثيرين .

★ ★ ★

قد لا ينهي بي الحديث اذا اردت ان افي هذه المجموعة حقها

الكامل ، الطرافة والجمال في تصوير النساء والبنات عبر مواقف نموذجية لا يمكن ان تستمد الا من معايشة عميقة ومعاناة عصرية جدا لمسائل الجنس الاخر ، الموسوم باللفظ . وهو لطيف ولا شك ، في الحياة ، لكنه اكثر روعة واجمل لطفا وبهاء في « العراء » .

طبعا كان يمكن للمؤلف ، بعد ان امتلك ابعاد القضية ، الموضوع الاساسي للقصص ، وعاشها بحرارة ، وذلك يتجلى بقسرة هذه القصص على ان تحدث لدينا انفعالا وطمينا وقوميا وانسانيا ، وجماليا قبل كل شيء . أقول كان باستطاعة الكاتب ان يذهب في بنائية قصصه الى اخر صرخات الاساليب الحديثة جدا . فهو ليس غريبا عنها لكن « اشياء الجمال في الفن ، ذات دور وظيفي » هكذا يقول بريشت . وهكذا كتب سهيل ادريس قصصه الرائعة في مجموعته الجديدة « العراء » .

لقد كتب ادباؤنا وشعراؤنا ومسرحيونا الكثير الكثير عن القضية الفلسطينية ، وعن الوقائع الحسية والمصرية ، بلغة الفن ، التي يعانها ويعيشها ، انساننا العربي ، وانا لا اوافق على الموضوعية التي تقول بان كتابنا لم يعطوا ادبا على مستوى حركة القضية تاريخيا ، ولا وقائع صراعاتنا . فالمسألة ليست هنا . ولعلها قائمة في اننا اعطينا الكم الكثير ، وهذا شيء طبيعي ، في آداب امة كبيرة تبعت من التراب . وبعد الكم ستاتي النوعية والرفق بالكلمة الى مستوى الفعل . ومن هذه الناحية ومن سائر النواحي المتوہبها ، يمكن القول عن مجموعة « العراء » انها اضافة ممتازة ، واقتراح – سيظل انجازا ممتازا من ناحية ثانية – لطريقة في الكتابة – فضلا عن الالتزام والرؤية والاخلاقية الثورية ، وصياغة ذلك كله في قصص رائعة وايصالية ، وهي اشياء تطبع مجموعة « العراء » بطابع لا ينسى .

هذه لمحة عن مجموعة سهيل ادريس الجديدة في « العراء » وانطباعات سريعة عنها ، وارجو ان ينهض النقاد العرب المختصون بدراستها ، اذ انهم سوف يجلون حينئذ اسرار اخرى تشكل القيم الاساسية لهذا العمل الفني النضالي الجميل .

بيروت

## كتب سياسية هامة من منشورات دار الآداب

ثورة كوبا	فيديل كاسترو
الاشتراكية والتسيير الذاتي	البيير ميستر
ماركسية القرن العشرين	روجيه غارودي
منعطف الاشتراكية الكبير	» »
كارل ماركس	» »
البديل	» »
اصول الفكر الماركسي	اوغست كورنو
تشریح جثة الاستعمار	غي ديوشير
الماركسية والمسألة القومية	جورج طرايشي
متى يطلع الفجر يا رفيق	جان بول اوليفيه
الاسس الاخلاقية للماركسية	اوجين كامنكا
صين ماو او الاشتراكية الاخرى	ك. س كارول
الانسان الاشتراكي	اسحق دويتشر
هكذا انتصر الفيتكونج	ريمون نشاطي
مذكرات مالكولم x	

الاشتراكية العربية بين النظرية والتطبيق

عبدالهادي الفكيكي